تعدد القراءات القرآنية
حكمه وفوائده

د. عبدالمحمود يوسف
أستاذ القراءات بكلية القرآن الكريم بالجامعة

مجلة كلية القرآن الكريم — العدد السادس 1436هـ — 2015م

مقدمة البحث

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الأكرم سيد العرب والعجم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد:

فقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، وصار القرآن يقرأ بقراءات مختلفة كلها متفَرّعة عن الأحرف السبعة ، وقد تواتر منها عشرُ قراءات استقر عليها أمر الأمة [1]، وقد تتبع بعض العلماء أوجه الاختلاف بين القراءات القرآنية فوجده على سبعة أنحاء كالاختلاف بالتقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان ، واختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم ، وتحقيق وتسهيل ، وإدغام وإظهار ، وغير ذلك [2].

ومع تلقينا لكل ما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ بالرضا والتسليم، وأن نردد ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[آل عمران:7] ، إلا أننا نوقن أن الله تعالى ما أنزل شيئاً إلا لحكمة وما شرع شيئاً إلا لمصلحة دنيوية أو أخروية ظهرت هذه المصلحة أم خفيت علينا ؛ ومن هذا المنطلق نوقن أن الله تعالى ما أنزل القرآن بهذه القراءات المتعددة إلا

([1]) قال ابن الجزري:" لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر" . انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1420هـ -1999م، ص(18).

([2]) انظر النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (27/26/1)، ومقدمات فى علم القراءات، تأليف الدكتور.محمد أحمد مفلح القضاة والدكتور.أحمد خالد شكري والدكتور محمد خالد منصور، ط :دار عمار - الأردن، الأولى، 1422هـ - 2001م، ص(19).

لحكم عظيمة وفوائد عديدة.

من أجل ذلك أردنا في هذا البحث أن نبحث في الحِكم من وراء تعدد هذه القراءات، ونتأمل في فوائدها، ونجمع ما تناثر من كلام أهل العلم في ذلك ؛ لنزداد إيماناً ونُعمق حبَّنا للقراءات، ونجيب عن تساؤلات بعض الناس عن حكمة اختلاف القراءات.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

جاء اختيار هذا الموضوع لعدة أهداف وأسباب منها:

1/ تعميق المعرفة بعلم القراءات، والتماس الحكم والفوائد من وراء تعددها.

2/تعميق المعرفة بمقاصد الشريعة وإبراز محاسنها.

3/التأكيد على خيرية هذه الأمة واختصاص الله لها بهذه المنقبة من بين أصحاب الكتب السماوية.

4/التأكيد على حفظ الله للقراءات وأن حفظها من حفظ القرآن.

5/إبراز رحمة الله بعباده وتيسيره عليهم من خلال تنويع هذه القراءات.

6/الإجابة عن تساؤلات كثير من الناس عن حكمة تعدد القراءات ولماذا لا يقرأ القرآن برواية أو قراءة واحدة ؟.

7/التشرف بخدمة القرآن الكريم والقراءات القرآنية.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد تتبعت المادة من مصادرها ومراجعها وعزوت النقولات إلى أصحابها، وعزوت الآيات إلى سورها، وخرَّجت الأحاديث الواردة في متن البحث، وترجمت للقراء والأعلام الذين لهم أقوال.

هيكل البحث:

البحث يشتمل على مقدمة وستة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف القراءات وبيان عددها.

المبحث الثاني: التيسير والتخفيف

المبحث الثالث: إعجاز القرآن

المبحث الرابع: بيان فضل الأمة المحمدية

المبحث الخامس: حفظ لغة العرب من الضياع

المبحث السادس: اشتمال القراءات على بعض الأحرف السبعة

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

هذا ومن الله أستمد العون وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
تعريف القراءات وبيان عددها

المطلب الأول:تعريف القراءات:

القراءة في اللغة:مصدر قرأ، يقال قرأ، يقرأ، قراءةً، وقرآناً، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقُراء-بضم القاف- جمع قارئ من القراءة ، والقَرَّاءُ-بفتح القاف-: الحَسَنُ القراءَةِ[1].

والأَصل فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ: الْجَمْعُ، وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه، وَسُمِّيَ القرآنَ وَسُمِّيَ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها [2].

وفي الاصطلاح القراءات: هي العلم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزواً لناقله [3].

أو هي: علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال

([1]) القاموس المحيط ، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص(49)، ومقدمات فى علم القراءات، ص(47).

([2]) لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، (128/1).

([3]) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، ص (9)، و مقدمات فى علم القراءات، ص(47).

وغيره، من حيث السماع [1].

والمُقرئ: هو من علم بها أداء، ورواها مشافهة [2].

والقارئ : هو الذي جمع القرآن حفظاً عن ظهر قلب ، وهو مبتدئ ومتوسط ومنتهٍ ، فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات ، والمتوسط إلى أربع أو خمس ، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها [3].

المطلب الثاني : عدد القرءات [4].

القراءت المتواترة التي تواترت [5] وتلقتها الأمة بالقبول: عشر وهي التي نعنيها هنا ،

فلا تدخل معنا القراءات الشاذة [6].

والقراءت العشر المتواترة هي القراءات الآتية:

1 – قراءة نافع[7] من روايتي قالون وورش عنه.

([1]) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان – الطبعة: الأولى، 1419هـ1998م ، تحقيق: أنس مهرة ، ص(6).

([2]) منجد المقرئين، ص (9) ، و إتحاف فضلاء البشر، ص(6).

([3]) الإضاءة في بيان أصول القراءة ، تأليف على محمد الضباع ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ، ط: الأولى 1420ه-1999م، ص(5)، وانظر منجد المقرئين، ص(9).

([4]) انظر النشر (1/ 54) ، وإتحاف فضلاء البشر ، ص (10) ، وتحبير التيسير، ص(20).

([5]) التواتر لغة:: التتابُعُ، يقال:تواتَرَت الإبل والقَطا وكلُّ شَيْءٍ إذا جَاءَ بَعْضهُ فِي إثر بَعْضٍ ؛ وَكَذَلِكَ واتَرْتُ الكُتُبَ فَتَواتَرَت أَي جَاءَتْ بعضُها فِي إثر بَعْضٍ وتْراً وتْراً مِنْ غَيْرِ أَن تَنْقَطِعَ. انظر لسان العرب، لابن منظور ، (275/5). واصطلاحا: المتواتر هُوَ مَا نَقَلَهُ جَمْعٌ لَا يُمْكِنُ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْكَذِبِ عَنْ مِثْلِهِمْ إِلَى مُنْتَهَاهُ، من غير تعيين عدد على الصحيح، وقيل بالتعيين. الإتقان في علوم القرآن، تأليف:عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، (264/1)، ومنجد المقرئين، لابن الجزري، ص(18)، وإتحاف فضلاء البشر، ص(8).

([6]) الشاذ لغة: المنفرد ، وهو ما ندر عن الجمهور ، مأخوذ من قولهم: شَذ الرجلُ يشِذ شُذُوذاً، إذا انفرد عن القوم ، واعتزل عن جماعتهم. نظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ص(427) ، ومقدمات ص(71) ، وجمال القراء وكمال الإقراء ، تأليف:أبي الحسن علم الدين عَليّ بن محمد السَّخاويّ ، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت ، الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1997 م ، ص(322).

وأما القراءة الشاذة اصطلاحا: فهي ما اختل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة المتقدمة: التواتر ، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. انظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (1/ 9)، ومقدمات في علوم القراءات، ص(72).

([7]) هو الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم الليثي مولاهم المدني ، أحد القراء السبعة والأعلام ، أصله من أصبهان، توفى بِالْمَدِينَةِ سنة تسع وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ. غاية النهاية في طبقات القراء(330/2).

2 – قراءة ابن كثير[1] من روايتي البزي وقنبل عن أصحابهما عنه.

3 – قراءة أبي عمرو البصري [2] من روايتي الدوري والسوسي عن يحيى اليزيدي عنه.

4 – قراءة ابن عامر[3] من روايتي هشام وابن ذكوان عن أصحابهما عنه. عنه.

5 – قراءة عاصم[4] من روايتي أبي بكر شعبة بن عياش وحفص بن سليمان عنه.

6 – قراءة حمزة [5]من روايتي خلف وخلاد عن سليم عنه.

7 – قراءة الكسائي [6] من روايتي أبي الحارث والدوري عنه.

8 – قراءة أبي جعفر [7] من روايتي ابن وردان وابن جماز عنه.

9 – قراءة يعقوب [8] من روايتي رويس وروح عنه.

([1]) هو الإمام عبد الله بن كثير أبو معبد المكي الداري إمام أهل مكة في القراءة ، وَهُوَ من التَّابِعين ، تُوفِّي بِمَكَّة سنة عشْرين وَمِائَة. غاية النهاية: (1/ 443).

([2]) هو الإمام أَبُوعَمْرو بن الْعَلَاء المازني البصري أحد القراء السبعة وكان من أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد ، قيل: اسْمه زبان، وَقيل غير ذَلِك ، تُوفِّي بِالْكُوفَةِ سنة أَربع وَخمسين وَمِائَة. غاية النهاية: (1/ 288) .

([3]) هو الأمام عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي ، أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها ، توفي سنة ثمان عشرة ومائة. غاية النهاية: (1/ 423).

([4]) هو الإمام عاصم بن أبي النَّجُود - بفتح النون وضم الجيم - أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي ، واسم أمه بهدلة ، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة ، توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل غير ذلك.غاية النهاية: (1/ 346)، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، للإمام الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى 1417 هـ- 1997م، ص(51).

([5]) هو الإمام حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، التيمي، الزيات ، أحد القراء السبعة، كان من موالي التيم فنسب إليهم ، وقيل من صميمهم ، وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ، قال سفيان الثوري :ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر ، توفي سنة ست وخمسين ومائة.غاية النهاية: (1/ 261)، ومعرفة القراء الكبار ، ص (71).

([6]) هو الإمام علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء ، الكوفي، أبو الحسن الكسائي ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. غاية النهاية(1/ 535) .

([7]) هو الإمام يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني القارئ ، أحد القرّاء العشرة ، تابعي مشهور كبير القدر ، وكان إمام أهل المدينة في القراءة ، وكان من المفتين المجتهدين ، توفي سنة ثلاثين ومائة. غاية النهاية: (2/ 382)، والأعلام ، للزركلي (8/ 186).

([8]) هو الإمام يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري، أحد القرّاء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئها، توفي سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة، ومات أبوه عن ثمان وثمانين سنة وكذلك جده وجد أبيه -رحمهم الله تعالى.غاية النهاية: (2/ 386).

10 – قراءة خلف [1] من روايتي إسحاق الوراق وإدريس الحداد عنه.

هذه القراءات العشر كلها متواترة ، وهو ما عليه أئمة القراءة والفقه والأصول [2].

المبحث الثاني
التيسير والتخفيف

من أعظم فوائد تعدد القراءات وأظهر حِكَم نزول القرآن على سبعة أحرف: التخفيف والتيسير على هذه الأمة في تلاوة كتابهم وحفظه ، "لأن النبي ﷺ أرسل للخلق كافة، وألسنتهم مختلفة غاية التخالف كما هو مشاهد فينا ومن كان قبلنا مثلنا ، وكلهم مخاطب بقراءة القرآن قال الله تعالى: (فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) [المزمل:20] ؛ فلو كُلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعسر إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد ، وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة وتذليل اللسان كالشيخ والمرأة فاقتضى يسر الدين أن يكون على لغات"[3].

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة تشير إلى هذه الحكمة ومنها:

حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ[4] بَنِي غِفَارٍ ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ: " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القرآن على حرفٍ ، فقال: أَسأَلُ اللهَ مُعَافاتَهُ ومَغْفِرَتَهُ ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك ، ثم أتاه الثانية ، فقال: إنَّ اللهَ يأْمُرَكَ أنْ تقرأ أمَّتُكَ القرآنَ على حرفين ، فقال: أَسأَلُ اللهَ مُعَافاتَهُ ومَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك ، ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمَّتُكَ القرآن على ثلاثِة أَحرفٍ ، فقال: أَسأَلُ اللهَ مُعَافاتَهُ ومَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك ، ثم جاءه الرابعة ، فقال:إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على سبعة أحرفٍ[5]،

([1]) هو الإمام خلف بن هشام البزار، الأسدي البغدادي، أبو محمد، أحد القراء العشرة، كان عالماً عابداً ثقة، له اختيار أقرأ به، وخالف فيه حمزة، توفي سنة تسع وعشرين ومائتين. غاية النهاية: (1/ 272) ومعرفة القراء، ص(123)، والأعلام، للزركلي (2/ 311).

([2]) انظر مقدمات فى علم القراءات، ص(224)، ومنجد المقرئين، لابن الجزرى، ص(72).

([3]) غيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري الصفاقسي المقرئ المالكي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، ص(13).

([4])الأَضَاة بِوَزْنِ الحَصَاة: الغَدِير، وَجَمْعُهَا أَضًى وإِضَاءَ كَأَكَمٍ وإِكَامٍ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ن: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، (1:/53).

([5]) أَيْ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِكُلِ وَجْهٍ مِنْهَا . انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ن: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ ، (9/ 23). وللعلماء أقوال كثيرة في بيان معنى الأحرف السبعة يمكن مراجعتها في

فَأَيُّما حَرْفٍ قرَؤوا عليه فقد أصابُوا"[1].

وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه -أيضا- قال:" لَقيَ رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ، فقال: يا جبريلُ، بُعِثتُ إلى أمَّة أمِّيِّينَ [2]، فيهم العجوزُ والشيخُ الكبيرُ، والغلامُ والجاريةُ، والرجلُ الذي لم يقرأ كتاباً قَطُّ، فقال: يا مُحَمَّدُ، إنَّ القرآن أُنزلَ على سبعةِ أحرفٍ"[3].

وحديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: قال: سمعتُ هِشامَ بنَ حكيم بنِ حِزامٍ يقرأُ سورة الفرقانِ، في حَياة رسول الله ﷺ ، فاسْتَمَعْتُ لقراءته ، فإذا هو يقرأُ على حروفٍ كثيرة ، لم يُقْرِئْنيها رسولُ الله ﷺ، فكِدْتُ أُساوِرُهُ[4] في الصلاة ، فَتَربصْتُ حتى سلَّم، فَلَبَّبْتُهُ بِردائِهِ ، فَقُلْتُ: مَنْ أقْرأَكَ هذه السورة التي سَمِعْتُكَ تَقْرَؤهَا؟ قال: أقْرَأنِيها رسولُ الله ﷺ ، فَقُلتُ: كذَبتَ ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أقْرَأنيها على غَيْرِ ما قَرأْتَ ، فانطلقْتُ به أقودُهُ إلى رسول الله ﷺ ، فقلتُ: يا رسولَ الله ، إنِّي سَمِعتُ هذا يقْرَأُ سُورة الفرقان على حُرُوفٍ لم تُقْرِئْنيها ، فقال رسول الله ﷺ: "أَرْسِلْهُ ، اقْرأْ يا هِشامُ" فقرأَ عليه القراءة التي كنْتُ سمعتُه يقرأُ ، فقال رسولُ الله ﷺ: "هَكَذا أُنْزِلتْ" ثم قال النبي ﷺ: "اقرأْ يا عمرُ" فقرأْتُ القراءةَ التي أقْرأَنِي ، فقال رسولُ الله ﷺ: «"هكذا أُنْزِلتْ ، إنَّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سَبْعَةِ أحرُفٍ ، فَاقرَؤوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ»[5].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَرَآ ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا...الحديث

: ، النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (1: 24-28)، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (9/ 23) وما بعدها، ، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي (1: 213 / 227)، وغيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري الصفاقسي، ص (11 /12)، ومقدمات في علوم القراءات، ص(13) وما بعدها.

([1]) رواه مسلم، رقم(821)، في صلاة المسافرين، باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

([2]) الأُمِّيُّ: هو الَّذِي لَا يَكْتُبُ، وقوله" بُعِثتُ إلى أمَّة أمِّيِّينَ" أَرَادَ أَنَّهُمْ عَلَى أَصْلِ وِلادة أمِّهم لَمْ يَتَعَلَّمُوا الكِتابة، فَهُمْ عَلَى جِبِلَّتِهم الْأُولَى. انظر القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص(1077)، والنهاية في غريب الحديث والأثر،لابن الأثير (1:/ 68).

([3]) رواه الترمذي، رقم(2944) في القراءات، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان في صحيحه (3/ 14) كتاب الرقائق، باب قراءة القران، ذِكْرُ الْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وأخرجه أحمد فيى المسند رقم(23447) من رواية حذيفة، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (4/ 444).

([4]) أساوره: أي آخذ برَأْسِهِ أَو أواثبه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني(1/9،135/25).

([5]) رواه البخاري، رقم(4992) في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وغيرها، وأخرجه مسلم رقم (818) في الصلاة، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

وفيه "يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ"[1].

وهذه الأحاديث فيها إشارات واضحة إلى حكمة التيسير من تعدد القراءات ونزول القرآن على سبعة أحرف كقوله ﷺ " أسأل الله مُعَافاتهُ ومَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك" وكقوله: "إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتى"، وكقوله" بُعِثتُ إلى أمَّة أمّيّينَ".

وهو من مظاهر تيسير القرآن التي أشار الله إليها في القرآن في عدة آيات كقوله تعالى في سورة القمر في عدة مواضع: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 17] وغيرها ، وكقوله تَعَالَى فِي الدُّخَانِ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: 58] ، وكقوله فِي سورة مَرْيَمَ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: 97] ،فَهُوَ كِتَابٌ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِ اللَّهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ[2]. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 17] ، أَيْ سَهَّلْنَاهُ لِلْحِفْظِ وَأَعَنَّا عَلَيْهِ مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ ، فَهَلْ مِنْ طَالِبٍ لِحِفْظِهِ فَيُعَانُ عَلَيْهِ ؟[3].

قال الزرقاني[4]: " الحكمة في نزول القرآن على الأحرف السبعة هي التيسير على الأمة الإسلامية كلها خصوصا الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن فإنها كانت قبائل كثيرة وكان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات وطريقة الأداء وشهرة بعض الألفاظ في بعض المدلولات على رغم أنها كانت تجمعها العروبة ويوحد بينها اللسان العربي العام ، فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك

([1]) أخرجه مسلم رقم (820) في الصلاة ، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

([2]) انظر مقدمات في علوم القراءات ، ص(13)، وأضواء البيان ، للشنقيطي (7/ 263).

([3]) تفسير القرطبي (17/ 134).

([4]) محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر ، تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث ، وتوفي بالقاهرة سنة (1367 هـ). انظر: الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي ، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة ، (6/ 210).

عليها"[1].

وقال الإمام ابن الجزري [2]:" فَأَمَّا سَبَبُ وُرُودِهِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلِلتَّخْفِيفِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِرَادَةِ الْيُسْرِ بِهَا، وَالتَّهْوِينِ عَلَيْهَا شَرَفًا لَهَا وَتَوْسِعَةً وَرَحْمَةً وَخُصُوصِيَّةً لِفَضْلِهَا، وَإِجَابَةً لِقَصْدِ نَبِيِّهَا أَفْضَلِ الْخَلْقِ وَحَبِيبِ الْحَقِّ ... وَإِنَّ الْكِتَابَ قَبْلَهُ كَانَ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَانُوا يُبْعَثُونَ إِلَى قَوْمِهِمُ الْخَاصِّينَ بِهِمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ أَحْمَرِهَا وَأَسْوَدِهَا عَرَبِيِّهَا وَعَجَمِيِّهَا، وَكَانَتِ الْعَرَبُ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَتِهِمْ لُغَاتُهُمْ مُخْتَلِفَةً وَأَلْسِنَتُهُمْ شَتَّى وَيَعْسُرُ عَلَى أَحَدِهِمُ الِانْتِقَالُ مِنْ لُغَتِهِ إِلَى غَيْرِهَا، أَوْ مِنْ حَرْفٍ إِلَى آخَرَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُهُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا بِالتَّعْلِيمِ وَالْعِلَاجِ، لَا سِيَّمَا الشَّيْخُ وَالْمَرْأَةُ، وَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ ﷺ؛ فَلَوْ كُلِّفُوا الْعُدُولَ عَنْ لُغَتِهِمْ وَالِانْتِقَالَ عَنْ أَلْسِنَتِهِمْ لَكَانَ مِنَ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ"[3].

فبعض الناس – مثلاً - تسهل عليه الإمالة وبعضهم تصعب عليه ، وبعضهم يسهل عنده تسهيل الهمز وآخرون يصعب عليهم، وبعضهم يسهل عليه الإشمام في نحو " قِيلَ، وَغِيضَ" وآخرون ليسوا كذلك "وَلَوْ أَرَادَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْ يَزُولَ عَنْ لُغَتِهِ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ اعْتِيَادُهُ طِفْلًا وَنَاشِئًا وَكَهْلًا لَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ... وَلَمْ يُمْكِنْهُ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ لِلنَّفْسِ طَوِيلَةٍ وَتَذْلِيلٍ لِلِّسَانِ وَقَطْعٍ لِلْعَادَةِ فَأَرَادَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مُتَّسَعًا فِي اللُّغَاتِ وَمُتَصَرَّفًا فِي الْحَرَكَاتِ كَتَيْسِيرِهِ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ" [4].

وهذا التيسير من سمات هذه الشريعة البارزة في سائر التكاليف كما دلت عليه نصوص القرآن والسنة كقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة:185] وقوله:﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ ﴾ [المائدة:6] وقوله:

([1]) مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الطبعة الثالثة، (145/1).

([2]) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزرى ، إمام هذا الفن- فن القراءات - الإمام الحجة الثبت المحقق المدقق ،شيخ الإسلام وسند مقرئي الأنام ، ولد بدمشق سنة(751هـ)وتوفي سنة(833هـ).انظر ترجمته في كتابه غاية النهاية(247/2-251)، ومقدمة النشر للشيخ علي محمد الضباع(4/1-7).

([3]) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(22/1).

([4]) المصدر السابق.

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج:78]

وقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:286] وقوله:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[الطلاق:7] ، وكقول النبي ﷺ "إنَّ هذا الدِّين يُسْرٌ ، ولنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غَلَبَه"[1].

وقد استنبط العلماء من هذه النصوص قاعدة فقهيه عظيمة وهي" **الْمَشَقَّةُ تَجْلُبُ التَّيْسِيرَ**" وقالوا: يَتَخَرَّجُ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ جَمِيعُ رُخَصِ الشَّرْعِ وَتَخْفِيفَاتِهِ[2].

ومِنْ قواعـدِ الشَّريعةِ التَّيسيرُ *** في كُلِّ أمـر نَابَهُ تَعْسِيرُ
وليس واجــبٌ بلا اقْتــدار *** ولا مُحـرَّمٌ مع اضطرارِ
وكل محظورٍ مع الضـــرورةْ *** بقَدْرِ ما تحتاجه الضرورةْ [3].

المبحث الثالث
إعجاز القرآن

من حِكم تعدد القراءات ونزول القرآن على سبعة أحرف إثبات إعجاز القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:42].

ومن مظاهر إعجاز القرآن من خلال تعدد القراءات:

أولاً ـ حفظ القراءات من الاندثار والتحريف:

فقد حفظ الله هذه القراءات من الاندثار أو الضياع ؛ بل هي باقية موجودة تتناقلها الأمة جيلا بعد جيل وعصراً بعد عصر ، وهيأ الله لها العلماء الجهابذة فألفوا فيها المؤلفات وضبطوها وبينونها ووضحوها للناس وميزوها عن غيرها مما لم يصح

([1]) أخرجه البخاري(1/ 16) في كتاب الإيمان بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ، رقم(39) من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

([2]) انظر الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، تحقيق: : الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، ص(64).

([3]) هذه الأبيات من نظم عبد الرحمن بن ناصر السعدي في "منظمومة القواعد الفقهية" انظر :مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، لأبي مُحمَّدٍ، صالح بن مُحمَّدٍ بن حسنٍ آلُ عُمَيْرٍ، الأسمريُّ، القَحْطانيُّ ، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع- السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ص(13).

ونفوا عنها ما لم يكن منها وردوا على كل من حاول أن يطعن فيها أو يثير الشكوك حولها .

وهذا من حفظ الله لكتابه كما قال تعالى :(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9] بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَأَنَّهُ حَافِظٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُزَادَ فِيهِ أَوْ يُنْقَصَ أَوْ يَتَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ أَوْ يُبَدَّلَ [1].

فالله تعالى "تكفل بحفظ سائر الأحرف القرآنية التي أنزلها؛ لأن كل حرف منها بمنزلة الآية فضياع شيء منها واندثاره يعني أن بعض أبعاض القرآن ضاعت، أو اندثرت وهذا يتنافى مع مقتضى الحفظ الرباني للقرآن"[2].

ثانياً ـ حفظ القراءات من التناقض:

ففي الأحرف السبعة برهان واضح ودلالة قاطعة على صدق القرآن ؛ فمع كثرة وجوه الاختلاف والتنوع لم يتطرق إليه تضاد ، ولا تناقض ، ولا تخالف ، بل كله يصدق بعضه بعضا ، ويبين بعضه بعضا، وبعضه يشهد لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وهذا دليل قاطع على أنه من عند الله عز وجل نزل على قلب النبي ﷺ[3].

ثالثاً ـ الإيجاز والاختصار:

ففي اختلاف القراءات نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[4].

([1]) انظر أضواء البيان، للشنقيطي(255/2).
([2]) انظر مقدمات في علم القراءات، ص(31).
([3]) انظر مقدمات في علم القراءات، ص(31).
([4]) المرجع السابق.

رابعاً ـ إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه:

فتقلّب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات فيه زيادة في المعنى، ويتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائمًا لكل عصر ولهذا احتج الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد بقراءات الأحرف السبعة ' وَلِهَذَا بَنَى الْفُقَهَاءُ نَقْضَ وُضُوءِ الْمَلْمُوسِ وَعَدَمِهِ عَلَى اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي: (لَمَسْتُمُ) وَ: (لامستم) [النساء: 43]، [المائدة:6]. وقل مثل ذلك في أمثلة أخرى [1].

المبحث الرابع
بيان فضل الأمة المحمدية

خص الله تعالى هذه الأمة المحمدية بخصائص لم تكن لأمة من الأمم السابقة ، فقد جعلها الله خير الأمم كما قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:110] ، وجعل رسولها خير الرسل ، وجعلهم الْآخِرِينَ في الدنيا السَّابِقِينَ يوم القيامة وأَوَّل النَّاسِ دُخُولا الْجَنَّةَ ، ومنهم سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابَ ، وأحل لهم الغنائم وشرع لهم التيمم وجعل لهم الأرض مسجدا وطهوراً ، وغيرها من الخصائص التي خصت بها [2].

ومما خص الله به هذه الأمة وميزها به من بين الأمم: إنزال القرآن على سبعة أحرف وقراءته بعدة قراءات ؛ وفي ذلك "إِظْهَارُ لفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ إِذْ لَمْ يَنْزِلْ كِتَابُ غَيْرِهِمْ إِلَّا عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ"[3].

وقد رُوي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "كان الْكِتَابُ الْأَوَّلُ ينزل مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ

([1]) انظر تفصيل ذلك في النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(1/ 29، 2/ 227)، ومقدمات في علم القراءات، ص(30)، ومباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة (1421هـ- 2000م)، ص(170)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(1/ 278).

([2]) انظر تفصيل هذه الخصائص في تفسير ابن كثير(2/ 93)، وغيره.

([3])انظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(1/ 278)، ومقدمات في علم القراءات، ص(31).

عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " الحديث [1].

وَفي ذلك أيضا : إِعْظَامُ أَجْرِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ يُفْرِغُونَ جُهْدَهُمْ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ وَضَبْطِهِ لَفْظَةً لَفْظَةً حَتَّى مَقَادِيرِ الْمَدَّاتِ وَتَفَاوُتِ الْإِمَالَاتِ ثُمَّ فِي تَتَبُّعِ مَعَانِي ذَلِكَ وَاسْتِنْبَاطِ الْحكمِ وَالْأَحْكَامِ مِنْ دَلَالَةِ كُلِّ لَفْظٍ وَإِمْعَانِهِمُ الْكَشْفَ عَنِ التَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّرْجِيحِ [2].

ولا ريب في أن هذه أجور عظيمة لهذه الأمة في خدمة كتاب الله عز وجل ، ومن ناحية أخرى فإن انشغال أبناء الأمة الإسلامية في تدارس وحفظ القرآن والتمييز بين متشابهاته أمر مقصود ليبقى كل حافظ على اتصال بالقرآن الكريم وتعاهد له، وكذا يقال بالنسبة للعناية بقراءاته وتتبعها وبيان وجوهها، فإن ذلك يؤدي إلى انشغال الأمة بتعلم القرآن وتعليمه وبذلك يستمر تعلقهم به قراءة وتدبرا وعملا [3].

ولا شك أن من خدم القرآن وأقبل عليه واعتنى به رفعه الله في الدنيا والآخرة ، كما ثبت في الحديث عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ ، لَقِيَ عُمَرَ - رضي الله عنه - بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا ، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ" [4].

وأبي بن كعب رضي الله عنه لما اشتغل بالقرآن واعتنى به رفع الله قدره وذكره باسمه في الملأ الأعلى ، كما في الحديث عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البينة: 1]" ، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ ؟ قَالَ: "نَعَمْ" ، قَالَ: فَبَكَى "· وفي لفظ عند البخاري أن النبيَّ ﷺ قال لأُبيّ بن كعب: "إن الله أمرني أن أُقْرِئَكَ القرآن ، قال: الله سمَّاني لك ؟ قال: نعم ، قال: وقد ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ العالمين؟ قال: نعم، فَذَرَفَتْ عيناه" [5].

وفي بعض الروايات أنه سئل " أَفَرِحْتَ بِذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؟ قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي ،

([1]) هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك(1/ 739، 2/ 317)، وصححه، وابن حبان في صحيحه انظر" الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"(3/ 20)، وقد اختلف العلماء في صحة هذا الحديث، وقد حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 133).

([2]) انظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(1/ 279).

([3]) انظر مقدمات في علم القراءات، ص(31-32).

([4]) أخرجه مسلم ، رقم (817) في صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن وتعليمه.

([5]) الحديث رواه البخاري رقم (3809) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب أُبي بن كعب، ورقمه (4961) في تفسير سورة (لم يكن) ، ومسلم رقم (799) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أُبي بن كعب.

وَاللَّهُ تَعَالَى وَتَبَارَكَ ، يَقُولُ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس: 58] [1].

ورحم الله الإمام الشاطبي إذ يقول:

وَإِنَّ كِتَـابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِـعٍ *** وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضّـِلَا
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَـلُّ حَدِيثُهُ *** وَتَرْدَادُهُ يَـزْدَادُ فِيـهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَـاتِهِ *** مِنَ الْقَبرِ يَلْقَـاهُ سَنـاً مُتَهَلّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِـيلاً وَرَوْضَـةً *** وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى [2].

المبحث الخامس
حفظ لغة العرب من الضياع

القراءات القرآنية فيها حفظ للغات العرب من الاندثار وبيان ذلك في ثلاثة محاور:

أولاً - نزول القرآن باللسان العربي:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بأشرف اللغات وأفصحها وأبْينِها وهي اللغة العربية كما جاءت الآيات مصرحة بذلك في كثير من آي القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:2] ، وقال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل:103] ، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: 113] ، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:192-195) ، وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:28] ، وقال: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت:3]. وغيرها من الآيات.

([1]) انظر المستدرك للحاكم (3/ 343).
([2]) منظومة الشاطبية المسماة"حرز الأماني ووجه التهاني)، للإمام الشاطبي، أبيات رقم(10 - 13).

قال الحافظ ابن كثير [1]رحمه الله معلقاً على إنزال القرآن باللغة العربية:"وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا ، وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ؛ فَلِهَذَا أنزلَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ بِأَشْرَفِ اللُّغَاتِ ، عَلَى أَشْرَفِ الرُّسُلِ ، بِسِفَارَةِ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَشْرَفِ بِقَاعِ الْأَرْضِ، وَابْتَدَئَ إِنْزَالُهُ فِي أَشْرَفِ شُهُورِ السَّنَةِ وَهُوَ رَمَضَانُ ، فَكَمُلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ [2].

ثانياً ـ نزوله بعدة قراءات وأثره على حفظ اللغات:

تعدد القراءات القرآنية فيه حفظ للغة العرب من الضياع والاندثار ، فقد تضمنت خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح وأفصح[3].

لقد كان للعرب لهجات شتى تنبع من طبيعة فطرتهم ، فكل قبيلة لها من اللحن في كثير من الكلمات ما ليس للآخرين ، إلا أن قريشًا من بين العرب قد تهيأت لها عوامل جعلت للغتها الصدارة بين فروع العربية الأخرى من جوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام والإشراف على التجارة ، فأنزلها العرب جميعًا لهذه الخصائص وغيرها منزلة الأب للغاتهم ، فكان طبيعيًّا أن يتنزل القرآن بلغة قريش على الرسول القرشي تأليفًا للعرب وتحقيقًا لإعجاز القرآن حين يسقط في أيديهم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه. وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت فالقرآن الذي أوحى الله به لرسوله محمد ﷺ يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعًا بحروفه وأوجه قراءته للخالص منها ، وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم[4].

ثالثاً ـ أمثلة من حفظ القرآن للغة العربية:

هذه مجرد نماذج للتدليل على هذه الحِكمة وأكتفي منها بثلاثة أمثلة:

أولها ـ إن كلمة **"أُف"** فيها ست لغات: أفًّا ، وأفٍّ ، وأفٌّ ، وأفَّ وَأفِّ، وأفُّ [5].

وقد قُرئ بثلاث منها في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء:23] وقوله: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[الأنبياء:67] وقوله:﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ

(1) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه صاحب التصانيف النافعة ولد في قرية من أعمال بصرى الشام ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق ، وتوفي بها سنة(774 هـ) انظر الأعلام ، للزركلي، ص(1/ 320).

(2) تفسير ابن كثير(4/ 366).

(3) انظر مقدمات في علم القراءات ، ص(31).

(4) انظر مباحث في علوم القرآن ، لمناع بن خليل القطان ، ص(156).

(5) انظر معاني القراءات ، للأزهري (2/ 91).

لَكُمَآ ﴾ [الأحقاف:17]: فقرأ نَافِع أَبُو جَعْفَر وَحَفْص: أُفٍّ – في السور الثلاث - بِالتَّنْوِينِ وَكسر الْفَاء ، وَ قرأ ابْن عَامر وَابْن كثير وَيَعْقُوب بِفَتْح الْفَاء من غير تَنْوِين ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا من غير تَنْوِين [1].

ثانيها - قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ [الأنعام: 137] فقد قرأ ابنُ عامر: بِضَم الزَّاي وَكسر الْيَاء في(زين) ورفع لام (قتل) ونصب دال (أَوْلَادهم) وخفض همزة (شركائهم) هكذا(وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهِمْ شُرَكَائِهِمْ) [2].

وتوجيهها: أن (زُيِّنَ) مبني للمفعول و(قتلُ) نائب فاعل(أَوْلَادهم) بالنصب مفعول المصدر وهو قتل وقتل مضاف و(شركائِهم)مضاف إليه مجرور بِالْإِضَافَة - وهي من إضافة المصدر إلى فاعله- على تَقْدِير قتل شركائهم أَوْلَادهم ، وفصل مفعول المصدر وهو (أَوْلَادهم) بَين الْمُضَاف والمضاف إِلَيْهِ[3].

وعلى قراءة ابن عامر هذه: يكون الشركاء هم القاتلين ؛ لأنهم لما زينوا للمشركين قتل أولادهم صاروا كأنهم كانوا هم القاتلين في المعنى والله أعلم [4].

ويلاحظ في هذه القراءة أنه فُصل فيها بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ، قد اعترض بعض **نحاة البصرة** على هذه القراءة لما فيها من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وقالوا لايصح الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا بالظرف وفي الشعر خاصة ، ولا يكون في الكلام المنثور فضلاً عن كلام الله؛ لأنهما كالكلمة الواحدة [5].

لكن هذا الكلام مردود عليه بعدة أمور:

الأول - أن هذه القراءة موافقة لقواعد اللغة العربية الصحيحة نثراً ونظماً: فقد

([1]) تحبير التيسير ، لابن الجزري ، ص (436).

([2]) تحبير التيسير، لابن الجزري، ص (112)، والوافى في شرح الشاطبية في القراءات السبع، تأليف:عبدالفتاح عبدالغني القاضي، الناشر :مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط:الأولى1320هـ - 1999م ، ص (267).

([3]) انظر الوافي، ص(267)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها – من طريق طيبة النشر- للدكتور: محمد محمد سالم محيسن ، ط: المكتبة الأزهرية للتراث، (215/1). و حجة القراءات حجة القراءات ، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبي زرعة ، مؤسسة الرسالة – بيروت- ط: الثانية ، 1402هـ – 1982م ، تحقيق : سعيد الأفغاني، ص(273).

([4]) انظر إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، لأبي شامة ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، الناشر شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ص(464-466).

([5]) انظر الوافي،للقاضي ص(267)،والمهذب، لمحمد سالم محيسن (215/1)، والنشر (2/ 263-264).

ورد من لسان العرب ما يشهد لصحة هذه القراءة نثراً ونظاً، فقد نقل بعض الأئمة الفصل بالجملة فضلاً عن المفرد في قولهم"غلام إن شاء الله أخيك" وقال ﷺ"فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي"[1]، وقال ﷺ "هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي أُمَرَائِي؟"[2] ، أي تاركوا صاحبي لي وتاركوا أمرائي لي ففصل بالجار والمجرور في هذه الأحاديث[3].

قال أبو شامة[4]: فلم يبق لهم تعلق بأنه لم يأت في الكلام المنثور فصل بالمفعول ولا بالظرف ونحوه والله أعلم [5].

ومثاله من الشعر [6] قول الأخفش[7] الذي أنشده عن بعض العرب:

فزججتها مُتَمَـكنًا *** زَجَّ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ [8].

أَرَادَ زج أبي مزادة القلوص ، فالقلوص مفعول به للمصدر وفصل بين المضافين وهو غير ظرف[9].

وقد انتصر ابن مالك[10] - رحمه وأعلى الله قدره- لقراءة ابن عامر حيث قال في الكافية الشافية:

([1]) أخرجه البخاري(5/5) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً " من رواية أبي الدرداء - رضي الله عنه.

([2]) أخرجه مسلم رقم (1753) في الجهاد، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.

([3]) انظر المهذب، لمحمد سالم محيسن (215/1)، وإبراز المعاني، لأبي شامة ص(466).

([4]) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقيّ، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: حافظ،مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القدس، ومولده في دمشق ، وبها منشؤه ووفاته، ولقب بأبي شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، توفي سنة(665 ه).الأعلام، للزركلي(3/ 299).

([5]) إبراز المعاني، لأبي شامة ص(466).

([6]) انظر المهذب (215/1)، وحجة القراءات، لأبي زرعة، ص(273). وهناك الكثير من الأمثلة في الشعر يمكن مراجعتها في إبراز المعاني، ص(464-466) وغيره .

([7]) قال أبوشامة: ولعله أبو الحسن سعيد بن مسعدة النحوي صاحب الخليل وسيبويه.إبراز المعاني، ص(464).

([8]) ويروى: فزججتها بمزجة، ويروى: فتدافعت. انظر إبراز المعاني، ص(464). والبيت لم ينسب لقائل معين وقوله: زججتها: طعنتها بالزج، والزج -بضم الزاي وتشديد الجيم- الحديدة التي تركب في أسفل الرمح، فأما الحديدة التي تركب في أعلى الرمح فهي السنان -بزنة الكتاب- ، والمزجة -بكسر الميم وفتح الزاي وتشديد الجيم- الرمح القصير كالمزراق، والقلوص -بفتح القاف- الناقة الشابة، وأبو مزادة: كنية رجل. انظر هامش الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين(349/2).

([9]) قال ابن جني: في (زج القلوص) فصل بينهما بالمفعول به هذا مع قدرته على أن يقول: زج القلوص أبو مزادة، كقولك سرَّني أكلُ الخبز زيدٌ قال: وفي هذا البيت عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول؛ ألا تراه ارتكب هنا الضرورة مع تمكنه من ترك ارتكابها؟؛ لا لشيء غير الرغبة في إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة(408/2). وانظر: إبراز المعاني، ص(464-465).

([10]) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني ، أبي عبد الله، جمال الدين ، أحد الأئمة في علوم العربية ، ولد في جيان – بالأندلس- وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه "الألفية" في النحو. توفي سنة(672 هـ). الأعلام، للزركلي(6/ 233).

وعمدتي قراءة ابن عامر *** وكم لها من عاضد وناصر [1].

وقال في ألفيته:

فصل مضاف شبه فعل ما نصب *** مفعولًا أو ظرفًا أجز، ولم يعب
فصل يمين، واضطرارًا وجدا *** بأجنبي، أو بنعت، أو ندا [2] .

وهذا الذي ذكرناه كاف شاف في رد الاعتراض على هذه القراءة من الناحية اللغوية، وإثبات أنها جاءت بوجه من وجوه اللغة العربية وبه يتحقق الغرض في حفظ اللغة والتنبيه إلى بعض قواعدها وإن خفيت على بعضهم. ولا مانع من ذكر الوجه الثاني والثالث لرد الاعتراض على هذه القراءة تتميماً للفائدة لاهميته.

الثاني - أنّ هذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي ، فقد رسمت (شركائِهم) في المصحف الشامي بالياء [3].

الثالث - أن قراءة ابن عامر قراءة صحيحة ثابتة بطريق التواتر وهو طريق قطعي؛ والقراءة إذا ثبتت بطريق التواتر لا تحتاج إلى ما يسندها من كلام العرب بل تكون هي حجة يرجع إليها ويستشهد بها [4].

قال أبو شامة: ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت في الكلام المنثور مثله؛ لأنه نافٍ، ومن أسند هذه القراءة مثبت والإثبات مرجح على النفي بإجماع، ولو نقل لهذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر لرجع عن قوله: فما باله لا يكتفي بناقلي القراءة عن التابعين عن الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعين[5].

وقال محقق شرح الكافية الشافية: كان المنهج الحق يطالب أمثال هؤلاء العلماء بالنظر في القراءة نفسها، فمتى صح سندها، ووافقت أحد المصاحف العثمانية -ولو احتمالاً- لا يصح ردها وتفضيل القاعدة النحوية عليها، فإنه لا ينبغي أن يقاس القراءة على شيء! بل الواجب أن يقاس عليه، فهو النص الصحيح الثابت المتواتر ، وليس هناك نص مما يستشهد به يشبهه في قوة إثباته، وتواتر روايته والقطع بصحته، والرواية إذا ثبتت عن أئمة القراءة لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة

([1]) شرح الكافية الشافية، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، ن: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة،الطبعة: الأولى (979/2).

([2]) قال الأشموني: والإشارة بذلك إلى أن من الفصل بين المتضايفين ما هو جائز في السعة خلافًا للبصريين في تخصيصهم ذلك بالشعر مطلقًا. انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي، ن: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى 1419هـ- 1998م (179/2).

([3]) انظر الوافي، لعبد الفتاح القاضي، ص(267)، والمهذب، لمحمد سالم محيسن (215/1)، (215/1).

([4]) الوافي، لعبد الفتاح القاضي، ص(268).

([5]) إبراز المعاني، لأبي شامة ص(466).

سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها [1].

وأختم بما خطه بنان إمام هذا الفن الإمام ابن الجزري حيث قال في النشر:

الصَّوَابُ جَوَازُ مِثْلِ هَذَا الْفَصْلِ، وَهُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَفَاعِلِهِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالْمَفْعُولِ فِي الْفَصِيحِ الشَّائِعِ الذَّائِعِ اخْتِيَارًا، وَلَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِضَرُورَةِ الشِّعْرِ وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ دَلِيلًا هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي بَلَغَتِ التَّوَاتُرَ كَيْفَ وَقَارِئُهَا ابْنُ عَامِرٍ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنِ الصَّحَابَةِ كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ فَكَلَامُهُ حَجَّةٌ وَقَوْلُهُ دَلِيلٌ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ اللَّحْنُ وَيُتَكَلَّمَ بِهِ فَكَيْفَ، وَقَدْ قَرَأَ بِمَا تَلَقَّى وَتَلَقَّنَ، وَرَوَى وَسَمِعَ وَرَأَى إِذْ كَانَتْ كَذَلِكَ فِي الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ الْمُجْمَعِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَأَنَا رَأَيْتُهَا فِيهِ كَذَلِكَ مَعَ أَنَّ قَارِئَهَا لَمْ يَكُنْ خَامِلًا، وَلَا غَيْرَ مُتَّبَعٍ، وَلَا فِي طَرَفٍ مِنَ الْأَطْرَافِ لَيْسَ عِنْدَهُ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ إِذَا خَرَجَ عَنِ الصَّوَابِ، فَقَدْ كَانَ فِي مِثْلِ دِمَشْقَ الَّتِي هِيَ إِذْ ذَاكَ دَارُ الْخِلَافَةِ، وَفِيها الْمُلْكُ وَالْمَأْتَى إِلَيْهَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ فِي زَمَنِ خَلِيفَةٍ هُوَ أَعْدَلُ الْخُلَفَاءِ وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَحَدُ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَّبَعِينَ الْمُقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَهَذَا الْإِمَامُ الْقَارِئُ أَعْنِي ابْنَ عَامِرٍ مُقَلَّدٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ الصَّالِحِ قَضَاءَ دِمَشْقَ وَمَشْيَخَتَهَا، وَإِمَامَةَ جَامِعِهَا الْأَعْظَمِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ أَحَدِ عَجَائِبِ الدُّنْيَا، وَالْوُفُودُ بِهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ لِمَحَلِّ الْخِلَافَةِ وَدَارِ الْإِمَارَةِ، هَذَا وَدَارُ الْخِلَافَةِ فِي الْحَقِيقَةِ حِينَئِذٍ بَعْضُ هَذَا الْجَامِعِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا سِوَى بَابٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الْخَلِيفَةُ وَلَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ هَذَا الْإِمَامِ أَنَّهُ كَانَ فِي حَلْقَتِهِ أَرْبَعُمِائَةِ عَرِيفٍ يَقُومُونَ عَنْهُ بِالْقِرَاءَةِ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَتَبَايُنِ لُغَاتِهِمْ وَشِدَّةِ وَرَعِهِمْ أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَلَا طَعَنَ فِيهَا، وَلَا أَشَارَ إِلَيْهَا بِضَعْفٍ وَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ بِدِمَشْقَ وَسَائِرِ بِلَادِ الشَّامِ حَتَّى الْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا لَا يَأْخُذُونَ إِلَّا بِقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ، وَلَا زَالَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى حُدُودِ الْخَمْسِمِائَةِ ... إلى أن قال: وَلِلَّهِ دَرُّ إِمَامِ النُّحَاةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ فِي كَافِيَتِهِ الشَّافِيَةِ:

وَحُجَّتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرِ فَكَمْ لَهَا مَنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرِ

وَهَذَا الْفَصْلُ الَّذِي وَرَدَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ فَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ فَصِيحِ كَلَامِهِمْ جَيِّدٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَيْضًا" [2].

([1]) شرح الكافية الشافية ، لابن مالك (984/2).

([2]) النشر، لابن الجزري (2/ 263-264).

ثالثها - قراءة حمزة (وَالْأَرْحَامِ) بخفض الْمِيم[1]، في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[النساء: 1]، عطفاً على الهاء في (بِه) والْمَعْنى تساءلون بِهِ وبالأرحام[2]. وهذه القراءة ، حجة لبعض أهل العربية على جواز عطف الظَّاهِرِ على الضمير دون إعادة حرف الخفض.

وقد اعترض على هذه القراءة من وجهين:

الأول : من الناحية النحوية : فقد اعترض على هذه القراءة نحاة الْبَصرِيين وقالوا: لَا يعْطف بِالظَّاهِرِ على مُضْمر المخفوض إِلَّا بِإِعَادَة الْخَافِض وَإِنَّمَا يجوز مثل ذَلِك فِي نظام الشّعْر ووزنه اضطراراً ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآن مَوضِع اضطرار ، هَذَا احتجاج الْبَصرِيين [3].

والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

1- إن كان البصريون منعوا ذلك فقد أجازه الكوفيون ، وَإِذا كَانَ البصرة لم يسمعوا الْخَفْض فِي مثل هَذَا وَلَا عرفُوا إِضْمَار الْخَافِض فقد عرفه غَيرهم[4].

2- أن ذلك على إضمار الخافض وحُذف للعلم به، ويدل على أن حكم المقدَّر حكم الموجود قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ ﴾ [يوسف:85][5].

3- أنه إِنَّمَا ينكر أَن يُعْطف الظَّاهِر على الْمُضمر الَّذِي لم يجر لَهُ ذكر ، فَأَما أَن يتَقَدَّم للهاء ذكر فَهُوَ حسن وَذَلِكَ كقولك "عَمْرو مَرَرْت بِهِ وَزيد" فَكَذَلِك الْهَاء فِي قَوْله: ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ تقدم ذكرهَا وَهُوَ قَوْله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[6].

ثانياً - اعترض على ذلك من الناحية الشرعية : قالوا بأنها سؤال بالرحم وهو حلف ، وقد نهي عن الحلف بغير الله تعالى[7]؛ فَكيف ننهى عَن شَيْء وَيُؤْتى بِهِ ؟[1].

([1]) انظر تحبير التيسير، لابن الجزري، ص(334).

([2]) معاني القراءات، للأزهري (290/1)، وحجة القراءات، لأزرعة، ص(190).

([3])الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبي عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، (1401 هـ)، ص(118).

([4]) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه ، ص (119).

([5]) شرح الجعبري على متن الشاطبية المسمى"كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني" ، لإبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري الخليلي ، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي- مكتبة أولاد الشيخ للتراث.(1395/3-1396).

([6])حجة القراءات ، لأبي زرعة ص(190).

([7]) فقد ثبت في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ، وَعُمَرُ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَلَا إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه أيضا:

1-أن هذا حكاية ما كانوا عليه، فحضهم على صلة الرحم ونهاهم عن قطعها ، ونبههم على أنها بلغ من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون بها ، ثم لم يقرهم الشرع على ذلك بل نهاهم عنه، وحرمتها باقية وصلتها مطلوبة وقطعها محرم [2]. فالآية في مقام حكاية الحال لا في مقام الإقرار وهذا موجود في القرآن فقد يذكر شيئا عن الأمم السابقة ولا يبين حكمه في الموضع نفسه وإنما يبينه في موضع آخر أو يأتي بيانه في السنة كسجود إخوة يوسف عليه السلام له مع أبيهم وغير ذلك.

2- أن قولهم سالتك بالله والرحم ليس يمينا حقيقة [3]، وإنما هي مما يجري على ألسنة العرب ولا يراد به القسم، ولعله نظير قول العرب"ثكلتك أمك" و"تربت يمينك" فهذا وإن كان ظاهره الدعاء لكنهم لا يريدون به حقيقة الدعاء وإنما يقولونه للحث والتنفير ونحوه. والله أعلم.

3-أن قراءة الخفض في الأرحام على القسم، وجوابه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ أقسم سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو والتين والزيتون والعصر والضحى والليل[4].

لكن هذا الوجه بعيد وفي الأوجه السابقة يتفق المعنى في القراءتين، قال أبوشامة بعد أن حكى هذا الوجه: وهذا الوجه وإن كان لا مطعن عليه من جهة العربية فهو بعيد؛ لأن قراءة النصب مصرحة بالوصاية بالأرحام [5].

وهذا الكلام كله إنما هو لبيان معنى القراءة ووجهها ودلالتها على صحة هذا الوجه من حيث اللغة، أما ثبوت القراءة فتواترها وحده كاف لقبولها، قال أبو نصر بن القشيري [6]-رحمه الله- وقد نقل كلام من طعن في هذه القراءة: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترا

لِيَصُمْتُ". رواه البخاري(8/ 132) في الأيمان، باب لا تحلفوا بآبائكم، وفي غيره من المواضع، ومسلم رقم (1646) في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

([1]) معاني القراءات، للأزهري(291/1)، والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه،ص(118)، وإبراز المعاني، لأبي شامة ص(410).

([2]) انظر إبراز المعاني، لأبي شامة ص(410).

([3]) شرح الجعبري على متن الشاطبية(1396/3).

([4])انظر إبراز المعاني، لأبي شامة ص(411)، شرح الجعبري على متن الشاطبية(1395/3).

([5]) انظر إبراز المعاني، لأبي شامة ص(411).

([6]) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. وفاته سنة(514 هـ). انظر الأعلام، للزركلي(6/ 233).

يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو، ولعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح منه؛ فإنا لا ندعي أن كل القراءات على أرفع الدرجات في الفصاحة.قال أبوشامة معلقاً على كلام القشيري بعد نقله له قلت: وهذا كلام حسن صحيح والله أعلم [1].

المبحث السادس
اشتمال القراءات على بعض الأحرف السبعة

نزول القرآن على سبعة أحرف أمر لا جدال فيه، فقد تواتر في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ، قالى الحافظ السيوطي [2]: "وَرَدَ حَدِيثُ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " مِنْ رِوَايَةِ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَأَنَسٍ وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ وسليمان بْنِ صُرَدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ وَأَبِي بَكْرَةَ وَأَبِي جَهْمٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي أَيُّوبَ.فَهَؤُلَاءِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ صَحَابِيًّا. وَقَدْ نَصَّ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى تَوَاتُرِهِ [3]. وقد تقدم بعض هذه الروايات في بداية هذا البحث[4].

لكن اختلفوا في مسألة وهي: هل القراءات المتواترة الموجودة الآن مشتملة على الأحرف السبعة أم أنّ المصاحف في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه كتبت بحرف واحد فقط وألغيت بقية الأحرف ؟، والمسالة فيها أقوال للعلماء مبسوطة في كتب القراءات وعلوم القرآن [5].

([1]) انظر إبراز المعاني، لأبي شامة ص(411).

([2]) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب ، له الكثير من المؤلفات، نشأ في القاهرة يتيما، وتوفي سنة(911 هـ). انظر الأعلام ، للزركلي، ص (3/ 301).

(3) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(1/ 164).

([4]) ص (6).

([5]) انظر هذه الأقوال في القراءات القرآنية تاريخها. ثبوتها. حجيتها. وأحكامها ، تأليف:عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، إشراف الاستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي،بيروت، الطبعة الأولى، 1999م، ص(144) وما بعدها، والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ،تأليف: أبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن

ولكن الذي لا نشك في رجحانه مَاذَهَبَ إليه جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ جَامِعَةٌ لِلْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جِبْرَائِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُتَضَمِّنَةٌ لَهَا لَمْ تَتْرُكْ حَرْفًا مِنْهَا [1].

قال الحافظ ابن الجزري : "وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ صَوَابُهُ ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَالْآثَارَ الْمَشْهُورَةَ الْمُسْتَفِيضَةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتَشْهَدُ لَهُ"[2].

وقال أبو العباس أحمد بن عمار المقرئ المهدوي [3]:"أصح ما عليه الحذاق من أهل النظر في معنى ذلك أن ما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن"[4].

أقول ويدل على رجحانه هذا القول عدة أمور:

أولها - أن الله أنزل القرآن على سبعة أحرف لحكم عظيمة وفوائد كثيرة مضت الإشارة إلى كثير منها في ثنايا هذا البحث ، والعلة التي أنزل من أجلها القرآن على سبعة أحرف لا تزال باقية.

ثانيها - أن الواقع خير شاهد ؛ وما تعدد هذه القراءات المتواترة إلا أوضح دليل على بقاء الأحرف السبعة.

ثالثها - أن الله هو الذي أنزل القرآن على سبعة أحرف ؛ ولا يتصور من

إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة ، تحقيق : طيار آلتي قولاج، الناشر: دار صادر – بيروت، سنة النشر : 1395 هـ - 1975 م، ص(138). وما بعدها.

([1]) انظر النشر، لابن الجزري(190/1).

([2]) النشر(190/1).

([3]) هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي ، أبو العباس ، النحوي، المقرئ ، المفسر ، له عدة مؤلفات منها "الهداية في القراءات السبع" وشرحُه "، توفي بعد الثلاثين وأربعمائة. غاية النهاية، لابن الجزري(1/ 92).

([4]) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة، ص(140).

الصحابة أن يقدموا على حذف أحرف نزلت من السماء ، ومات رسول الله صلى الله وهي باقية يتلى بها كتاب الله.

رابعها - أن الله أنزل القرآن على سبعة أحرف توسعة للأمة ، ولا يتصور من الصحابة أن يقدموا على حذف شيء فيه تيسير على الأمة ، وهم الذين قال لهم رسول الله ﷺ "يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُو"[1].

أما أمر عثمان رضي الله عنه بكتابة القرآن على لسان قريش فذاك منصب على الرسم والكتابة لا في النطق والتلاوة، والرسم قد يحتمل أكثر من قراءة [2].

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات:

في ختام هذا البحث أحمد الله تعالى على إتمامه ، وأختمه بذكر بعض النتائج والتوصيات.

أولاً - أهم النتائج:

1/أن القراءات العشر كلها متواترة، وهو ما عليه أئمة القراءة والفقه والأصول.

2/أن الله تعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف لحكم عظيمة وفوائد جليلة.

3/أن من أبرز فوائد تعدد القراءات القرآنية التخفيف والتيسير على هذه الأمة في تلاوة كتابهم وحفظه.

4/أن من حِكم تعدد القراءات القرآنية إثبات إعجاز القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى ، فقد حفظه الله كما حفظ القرآن ، ولا تناقض بينها مع كثرة وجوه الاختلاف فيها.

5/أن تعدد القراءات وما فيه من التيسير من خصائص هذه الأمة المحمدية وفيه إِظْهَار لفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ إِذْ لَمْ يَنْزِلْ كِتَابُ غَيْرِهِمْ إِلَّا عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ ؛ وَذَلِكَ

([1]) البخاري (1/ 25) في العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة ، ومسلم رقم (1734) في الجهاد ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

([2]) انظر القراءات القرآنية تاريخها . ثبوتها. حجيتها.وأحكامها، لعبد الحليم بن محمد الهادي، ص(146-147).

لأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَانُوا يُبْعَثُونَ إِلَى قَوْمِهِمُ الْخَاصِّينَ بِهِمْ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ .
6/أن من حِكم تعدد القراءات القرآنية حفظ لغة العرب من الاندثار ، وأنها تضمنت خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح وأفصح.
7/أَنَّ الْمَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ ، وأن الأحرف السبعة باقية وستبقى لأنَّ العلة التي أنزل من أجلها القرآن على سبعة أحرف لا تزال باقية.

ثانيا - التوصيات:

1/العناية بالقراءات القرآنية ونشرها .
2/الاهتمام بإبراز حكم تعدد القراءات القرآنية وفوائدها لتحبيب الناس فيها.
3/العناية بإبراز سماحة الشريعة الإسلامية وتيسيرها على الناس في أنواع التكاليف المشروعة ومنها القرآن من حيث تيسير تلاوته وحفظه وقراءاته بأوجه مختلفة يقرأ بأي وجه منها شاء.
4/مزيد من البحث والتدبر في حكم تعدد القراءات وأسرارها.

وأسأل الله العلي القدير أن يختم لنا بالحسنى وأن يتجاوز عنا الخطأ والزلل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.